المورد

عدد خاص
أبو الطيب المتنبي

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد السادس - العدد الثالث ١٣٩٧ - ١٩٧٧

شهيد العاقول

حوارية تستقرىء حياة وتجليات مالىء الدنيا وشاغل الناس

بقلم
جميل الجبوري
وزارة الاعلام ـ بغداد

ـ ١ ـ

صوت :

... فليس مجالس الدرس .. اعمر بشعر ابي الطيب من مجالس الانس ، ولا اقلام كتاب الرسائل ، اجرى به من السن الخطباء في المحافل ، ولا لحون المغنين والقوالين ، اشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين ، وقد الفت الكتب في تفسيره. وحل مشكله وعويصه، وكسرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه ، وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والافصاح عن ابكار كلامه وعونه(١) .

تفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والنضح(٢) عنه ، والتعصب له وعليه وذلك أول دليل على وفور فضله ...

صوت اخر :

هذا ما اورده أبو منصور الثعالبي . وقال ابو الفتح ضياء الدين ابن الاثير :

الصوت الأول :

... واما ابو الطيب المتنبي فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما اعطاه ، لكنه حظي في شعره بالحكم والامثال ، واختص بالابداع في مواقف القتال ، وانا اقول قولاً لست فيه متأثما، ولامنه متلثما ، وذلك انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها ، واشجع من ابطالها ، وقامت اقواله للسامع مقام افعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا و السلاحين قد تواصلا، فطريقه في ذلك تضل بسالكه ، وتقوم بعذر تاركه ... وعلى الحقيقة فانه خاتم الشعراء ، ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الاطراء ...

الصوت الثاني :

والجرجاني ، على بن عبدالعزيز ، يرى :

الاول :

انك لاتجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من ابيات تختار ، ومعان تستفاد ، والفاظ تروق وتعذب ، وابداع يدل على الفطنة والذكاء ، وتصرف لا يصدر الا عن غزارة واقتدار

الثاني :

ويذهب ابن شرف القيرواني الى راي مفاده :

(*) دير العاقول ـ مكان قرب مدينة النعمانية في العراق وهو المكان الذي شهد مقتل المتنبي .

(١) العون ـ جمع عوان . والعوان النصف من النساء

(٢) التضح ـ الدفاع عنه

الأول :

... انه وان طال فيه ـ اي في المتنبي ـ الخلف وكثر عنه الكشف . وله شيعة تغلوا في مدحه وعليه خوارج تتعايا في جرحه ، فالذي اقول ان له حسنات وسيئات . وحسناته اكثر عدداً واقوى مدداً . وغرائبه طائرة وامثاله سائرة... يروم فيقدر ويدري مايورد ويصدر

الثاني :

ويورد القيرواني الثاني ، ابن رشيق ، رايه فيه فيقول :

الأول :

ارى المتنبي على كل شاعر في جودة هذه الامور الثلاثة : المطلع ، والتخلص ، والخاتمة . وان ماجاء من شعره على خلاف ذلك ، لا يدل على الطابع العام للشاعر . ولكنه نتيجة لرغبة المتنبي في الاغراب على الناس ثقة منه بنفسه وادلالاً منه بفنه .

الثاني :

هذا ، غيض من فيض ، من اراء القدماء في ابي الطيب الشاعر . ويرى المعاصرون:

الأول :

كان المتنبي يمشي في الجو وسائر الشعراء يمشون على الارض

الثاني :

هذا ما قاله ناصيف اليازجي . وقال عباس محمود العقاد :

الأول :

... فهو حيث قلبت حكمته او فخره او غزله او رثاءه ، هو المعتد بفضله، الفاشل في امله ، الساخط على زمنه ...

الثاني :

وكتب احمد امين عنه فقال :

الأول :

ترى القوة تشيع في جوانب اساليبه وقوافيه . فاذا اشترك المتنبي وغيره من الشعراء في معنى من المعاني رايت ابيات المتنبي غالباً اقوى اسلوباً واجزل لفظاً واقوى قافية وامتن تركيباً . لانه يسبغ عليها من قوته ويزيد في شدتها وحدتها من شدته وحدته .

الثاني :

وامير البيان ، شكيب ارسلان يقول :

الأول :

المتنبي مفخرة عربية كبرى تدين بها هذه الامة في التاريخ العام ولا يكابرها احد . وتحتج به لدى الانسانية باجمعها ولا يقال لها بالفتِ .

الثاني :

ويقول عبدالوهاب عزام :

الأول :

...وحسب المتنبي ان اديباً لا يسعه ان يعد عشرة من اعلام الشعر العربي الذي امتد حيناً بين الصين وبحر الظلمات وامتد عمره خمسة عشر قرناً ، الا كان ابو الطيب في هؤلاء العشرة .

الثاني :

ويرى على الجارم :

الأول :

ان للمتنبي منحى في الرثاء عجيباً ، فهو لا يلطم الخدود ، ولا يشق الجيوب كما يفعل صغار الشعراء ولكنه يطلق العنان لفلسفته في الموت والحياة

الثاني :

كما يرى طه حسين :

الأول :

ان شعر المتنبي الذي قاله في مصر او الذي الهمته اياه مصر مختار كله ، بريء من السخف واللغو .

الثاني :

ان ما قيل في المتنبي وشعره ، قديماً وحديثاً ، يعسر على الحصر فبحره متسع غزير ، لا يحد مداه ولا تدرك شواطئه . وحسبنا ان نكتفي بهذه الشذرات من سفره الضخم ونختمها بمقولة ماورن عبود :

الأول :

... فاذا اخترنا من شعراء العرب معلماً لاولادنا فلا يصلح لهم الا هذا الرجل . لا خوف على العذارى والفتيان من السير

في خفارة المتنبي . انهم يلوذون بحصن منيع من الاخلاق السامية . فحيث كانوا في ديوان هذا الرجل العظيم يتلقون درساً بليغاً لا يجدونه عند غيره . يهوّن عليهم اصعب الأشياء ليخلق فيهم الشجاعة العظمى .

/انتقالة/

ـ ٢ ـ

الراوية :

ذلكم هو الرجل الكبير ... الكبير في في شخصه ... وفنه ... وفي مشاعره وتطلعاته .

اليس هو القائل :

المتنبي : واني لمن قوم كان نفوسهم
بها انف ان تسكن اللحم والعظما
فلا عبرت بي ساعة لاتعزني
ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

/انتقالة/

ـ ٣ ـ

ـ جلسة الأب وابنته ليلى ـ

الأب : ها ، اسمعت ياليلى ؟

ليلى : سمعت ياأبتِ وامتلأت نفسي عظمة واجلالاً

الأب : هكذا الحياة يا ابنتي « لا يجري في صعيدها الا اثنان : عاقل وشجاع . وهذا ماحدا ابا الطيب الى إطراء العقل والشجاعة وتفضيل الأول على الثانية . »

ليلى : المعروف ـ ياأبت ـ ولعل ما سأقوله من البديهيات ـ « انه اذا ماتوفر العقل والشجاعة لامرىء سما الى اعلى مراتب المجد . واقتعد غارب العظمة »

الأب : قاتل الله العظمة ، فهي التي اودت بحياته

ليلى : اودت بحياته ؟ ... تقصد المتنبي ... كيف ياأبت ؟

الأب : كثيراً ماتبجح المتنبي بشجاعته ... فهو القائل مثلاً

المتنبي : الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
واحسب ان لولا هذا الالتزام لما غدا قتيلاً قرب دير العاقول . فلقد خاف ان يتهم بالجبن إن هو نكص وفر من بين يدي فاتك الاسدي الذي سفك دمه . وبراً بقوله ذاك ، الخيل والليل والبيداء تعرفني، فكان ما كان من معركة رهيبة اودت بحياته وبحياة مَن معه .

ليلى : احسب انني امام بحر زاخر من معارف جمة يجمعها اهاب هذا الرجل العلم فهل لي في حديث مسهب اسمعه منك يتناول مجالي تلك العبقرية وجوانب ذلك الطموح

الأب : لكيما تتعرفين عليه فلابد من هذا الاستطراد الذي اشرت اليه

ليلى : ساكون شاكرة ياابت

الأب : ذلك لك وبكل سرور

/انتقالة/

ـ ٤ ـ

الراوية :

« ... هذه القوة الكامنة في نفسه نراها متجسمة في اشعاره وخصوصاً عند انبرائه لتصوير مظاهر القوة من اسد زئيره مدوٍّ في مسمع الدنيا ، وجيش زمازمه تضج في آذان الجوزاء .

إن له في القوة وثبات مقلدة وفي الفلسفة الاجتماعية حكماً قيمة فاضت من نفس مرهفة الحس ، اعتملت فيها الاحداث فعبرت عن تجاربها تعبيراً صادقاً حتى يظن الانسان ، في اي زمان ومكان ، ان المتنبي معبر عن خاطره وناطق بلسانه .

هذا الطبع الشامخ ، والخيال الجامح ، والتفكير العميق ، والتجربة الحية ، والعاطفة الجياشة ، كلها تساندت حتى انضجت عبقرية المتنبي . هذا العبقري الذي ضرّجه الموت بدمائه فسقط سقوط الجبابرة . اغلق سفر حياته ليفتح سفر حكمته . فما اضعف الحياة امام الموت ، وما اضعف الموت امام الحكمة ! »

/انتقالة/

ـ ٥ ـ

ليلى ـ الأب

ليلى : لقد اشتقت ايما شوق ياأبت الى معرفة حياته وفنون شعره وتجلياته ومواقفه

الأب : طلبك هذا تناولته المصنفات وانفرد له المتخصصون وجمعه الديوان الذي كثر

شراحه وتعددت اسماء الذين درسوه ... ولكنني ساحاول ان الم الامة عجلى بهـذا وذاك وهذه وتلك من سفر حياته الضخم وديوان شعره العظيم لعلي اتيك ببصيص ينير امامك دروب هذا الرجل الذي ملأ الدنيا ـ بجدارة ـ وشغل الناس بمقدرة فذة وقابلية مميزة

ليلى : وهذا هو ما ارجوه يا ابت

الاب : اسمعي يا ليلى

ليلى : نعم يا ابت

الاب : ان ندرس شخصية ضخمة كشخصية المتنبي فانما تقتضينا امانة الدارس ان نلم بكل ما قاله ونتدارس معطياته ومؤشراته ، ومن ثم نستنبط منها ما يعين على فهم ما للرجل وما عليه ، واحسب ان امراً كهذا في مثل هذا المقام عسير

ليلى : هكذا يبدو .

الاب : نعم ... ولكنني اجد ان من الاولى لي والاجدى ان اضع بعض ابيات قصيده مدخلاً لتناول ما كثر فيه القول ـ قديماً وحديثاً ـ عن هذه الشخصية الفريدة

ليلى : ماذا تعني يا ابت ؟

الاب : اعني نسبه ونبوته وتطلعاته

ليلى : هذه مداخل للبحث متسعة في الشخصية

الاب : هذا صحيح ، وهي هامة بذات الوقت لاسيما بالنسبة للمتنبي ، لذلك سأسعى جاهداً للتركيز والتأكيد عليها

ليلى : كلي اذان صاغية يا ابت

الاب : قدر ما يتعلق الامر بنسبه فتاريخه المكتوب يقول: «هو احمد بن الحسين بن عبدالصمد الجعفي الكندي الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة فنسب اليها وعلى ذلك فهو ليس من قبيلة كندة المعروفة .

ليلى : ها ... ها ... وماذا عن شعره في هذا المجال

الاب : هنا بيت القصيد . انه يقول :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضاد
وعوذ الجاني وغوث الطريد
انا ترب الندى ورب القوافي
وسمام العدا وغيظ الحسود

ليلى : هكذا اذاً ، هو لا يفخر بقومه انما هم الذين يفخرون به بالرغم من ان في جدوده « فخر كل من نطق الضاد » ؟!

الاب : نعم . فهكذا هو . وفخره مبثوث في جميع اغراض شعره، إن مدح او رثى او هجا ... انه دائماً وابداً يظهر عجبه بنفسه واعتداده بكبريائه . وهو لم يكن يرضى بأن يظهر تفوقه على سائر الناس ، وانما على خاصتهم ايضاً . اليس هو القائل :

المتنبي: اي محل ارتقي ... اي عظيم اتقى
وكل ماقد خلق الله ... ومالم يخلق
محتقر في همتي ... كشعرة في مفرقي

ليلى : الى هذا الحد ؟!

الاب : نعم ، بل اكاد اقول وزيادة . فكل فخره محصور في نفسه التي هي مصدر كل شرف وفخر . وهو مؤمن ايماناً عميقاً بعظمتها ورفعتها ... ولذلك فهو يختال قائلاً :

ان اكن معجباً فعجب عجيب
لم يجد فوق نفسه من مزيد

ليلى : وموضوع نسبه الذي بدانا الحديث به... ماذا عنه بعد

الاب : نعم . نعم . في تاريخ سيرته ذكر ان اباه كان سقاء في الكوفة التي نشأ بها ابوالطيب، ثم انتقل الى الشام حيث اتم الفتى اليافع نشأته هناك . والى هذا اشار بعض الشعراء في معرض هجائه :

صوت: اي فضل لشاعر يطلب الفضل
من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء
وحيناً يبيع ماء المحيا

ليلى : هذا كثير على ابي الطيب

الاب : كيف لا . ولذلك نراه يقول :

المتنبي: ارى المتشاعرين غروا بذمي
ومن ذا يحمد الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مراً به الماء الزلالا

الاب : بعد هذا تبقى مسألة نسب المتنبي موضوع نقاش . وقد رده بعضهم الى اصل علوي

وقالوا انه ينتسب الى علي بن ابي طالب – رض – . ومهما يكن من امر فللمتنبي قصيدة طويلة تستاهل ان توضع موضع التامل في هذا المجال يقول فيها :

المتنبي: انا ابن من بعضه يفوق انا البا
حث والنجل بعض من نجله
وانما يذكر الجدود لهم
من نفروه وانفذوا حيله
فخرا لعضب اروح مشتمله
وسمهري اروح معتقله
وليفخر الفخر اذا غدوت به
مرتديا خيره ومنتعله
انا الذي بيّن الاله به ..الا
قدار والمرء حيثما جعله
جوهرة تفرح الشراف بها
وغصة لا تسيغها السفله

الأب : الى ان يقول :

المتنبي: وربما اشهد الطعام معي
من لا يساوي الخبز الذي اكله
ويظهر الجهل بي واعرفه
والدر در برغم من جهله

والراي عند متامليها يذهب الى ان هذا البيت الاخير « ويظهر الجهل بي ...الخ » **بمثابة هوية شخصية للمتنبي حسب** مفاهيم القرن الرابع الهجري

ليلى : وهل تحتاج عبقرية كعبقريته الى نسب تتكىء عليه ... ولم كل هذا الاهتمام بهذا الموضوع

الأب : قلت لك يابنتي انها مفاهيم القرن الرابع الهجري ... ولكل زمان اعتباراته ومفاهيمه

ليلى : معذرة يابت ... الحق معك ، فهذا صحيح ... تلك اذا مسالة نسبه

الأب : – مقاطعاً – باختصار شديد ياليلى ، فما عرفته عني لا يغنيك عن تتبع الموضوع ودراسته

ليلى : نعم يابت ، هذا واضح ... اذا ذلك هو مفتاح الباب المتعلق بنسبه وبداية الطريق اليه

الأب : في هذه الحالة ، هذا صحيح ... فهناك الكثير الذي يجب ان تعلميه

ليلى : مثل ماذا يابت ؟

الأب : بعضهم يرى ان المتنبي كتم نسبه ولم يصرّح به في شعره لواحد من سببين ... اما ضعة هذا النسب ، واما كون المتنبي « رجلاً يخبط القبائل ويطوي البوادي وحده ، ومتى انتسب لم يامن ان ياخذه بعض العرب بطائلة بينه وبين القبائل التي ينتسب اليها ، ومادام غير منتسب الى احد فهو يسلم على جميعهم ويخافون لسانه »

ليلى : هو لم يصرح بشيء عن نسبه في قصيدة اذا

الأب : نعم ... انما فخر بنفسه وتعالى على الناس كما سبق ان اخبرتك. وبعض دارسيه يرون ان اباه كان مغموراً غير نابه الذكر فلم يرثه ابنه بكلمة لما قبض الى ربه . اما والدته فيرجحون انها توفيت وهو حَدَث . فلم تظفر منه برثاء . لكن جدته لامه وقد كانت من « صلحاء النساء الكوفيات » وهي التي ربته وحدبت عليه ورعت حداثته بعطفها وحنانها ، كانت موضع رثاء يتفجر اسى عندما اخترمتها المنية في قصيدته الدائعة والتي مطلعها :

الا لا ارى الاحداث مدحاً ولا ذما
فما بطشها فتكاً ولا كفّها حِلما

ليلى : في موضوع نسبه متسع للقول كثير ، كما استنتج يابت

الأب : هذا صحيح . وللمحدثين من دارسيه آراء كثيرة تذهب مذاهب شتى في هذا المضمار ... ولكن ، كما سبق لكِ ان اشرتِ ، ان عبقريته هي الاهم وتراثه هو الاجدر بالعناية

ليلى : نعم . نعم ... اقول يابت ... وموضوع نبوته اذاً ؟ ... ماذا عنه ؟

الأب : هذه هي النقطة الثانية التي رصدناها للحديث عنه منذ البداية ... وتاريخه يروي عنه في هذا المجال الكثير .

ليلى : كيف يابت ؟

الأب : هذا ما تستطيعين استنتاجه من اللقطات التي روتها المصادر عنه في هذا المجال ...

/انتقالة/

ـ ٦ ـ

الراوية :

« لقد جمع رواة سيرة ابي الطيب المتنبي ، انه اسر في الشام ، وان سبب اسره هو ادعاؤه الامامة ثم النبوة » وقالوا في ذلك كلاماً كثيراً ... قاله القدماء ... والمحدثون ... وما بينهما .

فالخطيب البغدادي يقول :

صوت :

« إن ابا الطيب لما خرج الى كلب واقام فيهم ادّعى انه علوي حسني ، ثم ادعى بعد ذلك النبوّة . ثم عاد يدّعي انه علوي، الى ان اشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهراً طويلاً واشرف على القتل ، ثم استتيب واشهد عليه بالتوبة واطلق »

صوت آخر :

وزعم ابن جني ان احمد بن الحسين لقب بالمتنبي لقوله :

انا في امة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود

الصوت :

وصاحب اليتيمة يقول فيه « : يحكى انه تنبأ في صباه : وبعض المتصلين به ، العارفين اخباره . يذكرون انه سجن لدعوة الامامة والخروج على السلطان ، ولا يذكرون انه تنبأ . »

الآخر :

« ويعتقد ابو العلاء المعري ، ان هذا اللقب ـ المتنبي ـ آتٍ من ـ النبوة ـ وهي ما ارتفع من الارض . . فابو الطيب ، في عرفه ، متطلب رفعة من اجلها لقب بالمتنبي » .

الصوت :

وحديثاً وجدت الدكتورة بنت الشاطىء خلال تحقيقها عن رسالة الغفران المعري وقد جاء في ذلك ما نصه :

(حكى القطربلي وابن ابي الازهر في كتاب اجتمعا على تصنيفه ... ان المتنبي اخرج ببغداد من الحبس الى مجلس الحسن علي ابن عيسى الوزير فقال له : انت احمد المتنبي ؟ فقال انا احمد النبي . وكشف عن بطنه واراه سلعة فيه وقال هذا طابع نبوتي وعلامة رسالتي)

ولكن الدكتورة بنت الشاطىء وجدت بهامش النسخة التيمورية لرسالة الغفران وهي نسخة مخطوطة ، بخط الناسخ وبمداد احمر حاشية نصها :

(في جزء من تذكرة ابن العديم ما نصه : وهذا عجيب فان المتنبي ولد سنة ٣٠٣ للهجرة على مارواه ابن سريال وغيره من الرواة فكيف تصح هذه الحكاية قبل مولده، وقد جاء في بعض الروايات انه ولد سنة احدى وثلاثمائة . فعلى كل حال لا يصح ما نقله ابن ابي الازهر وابو محمد .. او يكون هذا المتنبي غير ابي الطيب المتنبي والله اعلم !) ثم ذيلت هذه الحاشية بما نصه : صح بعد ذلك انه غير ابي الطيب وهو احمد بن عبدالرحيم الاصبهاني ! »

/ انتقالة /

ـ ٧ ـ

ـ عودة الى حديث ليلى وابيها ـ

ليلى : ... ومن هو الاصبهاني هذا يابت ؟

الأب : احمد بن عبدالرحيم الاصبهاني او الاصفهاني هو مدعي النبوة في العراق ـ كما يذهب بعضهم ـ وربما في بادية السماوة ـ بالذات ـ كما يرى آخرون

ليلى : الا يجوز انه حصل التباس في هذا الامر نظرا لتقارب الاسمين . احمد المتنبي فعلاً والشاعر طالب الرفعة ... المترفع عن الناس

الأب : ولم لا .

ليلى : مهما يكن من امر فالنقطة الثالثة . والاخيرة، التي رصدناها لعرض جوانب حياة المتنبي ومجالي شعره هي عندي الاجدى والاهم

الأب : تعنين تطلعاته

ليلى : ـ ضاحكة ـ نعم يابت ... وعبرها شاعريته الذائعة ... وفنونه الخصبة ... وتجلياته الرائعة ... ومعطياته النادرة

الأب : ذلك كثير ياليلى

ليلى : مامن شك في انه كثير ... ولكن على طريقتك في التركيز المجدي والاختصار الدال والنموذج المعبر

الأب : ذلك لك يا ابنتي

ليلى : منصتة اذاً يا أبت .

الأب : حياة المتنبي يا ليلى هي الطموح اذ يتطلع والمواهب اذ تتجلى والهمة العالية اذ تشرئب ... فأياً كان الحديث عن ادعائه النبوة ، إن صدقاً ـ كما قيل ـ فخرج اليه (لؤلؤ) امير حمص وأسره وتفرق اصحابه ، او كذباً كما اكد غير واحد من دارسيه وعلل ـ كما سبقت الاشارة ـ فان الأمر عندي يدل على جانب اخر اهم من ذلك كله

ليلى : ما هو يا أبت ؟

الأب : تطلع الرجل ، وهو اهل لما يتطلع اليه ... وطموحه المشروع الذي يعتلج في وجدانه... وهو من اجل هذا الطموح وذاك التطلع قصد سيف الدولة الحمداني امير الدولة الحمدانية سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وقال ما قال فيه من غرر القصيد

ليلى : مدحه كثيراً

الأب : وبشعر غاية في السمو ... اسمعيه مثلاً

المتنبي: إن كان قد ملك القلوب فانه
ملك الزمان بأرضه وسمائه
الشمس من حساده والنصر من
قرنائه ، والسيف من اسمائه
اين الثلاثة من ثلاث خلاله
من حسنه ، وابائه ، ومضائه
مضت الدهور وما اتين بمثله
ولقد اتى فعجزن عن نظرائه

ليلى : رائع

الأب : وله ما هو اروع

ليلى : في المدح

الأب : في المدح وفي غيره من اغراض الشعر ... وما دام حديثنا عن مدحه لسيف الدولة الذي احبه ورافقه في حروبه ووجد في في شخصه ، الرجل الذي ينشده والحاكم المؤهل لمكانته فساروي لك نموذجاً اخر من مديحه له

ليلى : نعم يا أبت

الأب قال يهنئه بعيد الاضحى سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة وقد انشده اياها في ميدانه في حلب وهما على فرسيهما :

المتنبي:
لِكلِّ امرىءٍ من دهرهِ ما تعودا
وعادات سَيفِ الدولة الطعن في العدا
هو البحر غُصْ فيه إذا كان ساكناً
على الدرِّ واحذره اذا كان مزبدا
تظل ملوك الارضِ خاشعةً له
تفارقه هلكى وتلقاه سجدا

الأب : الى ان يقول :

المتنبي :
هنيئاً لك العيد الذي انت عيده
وعيد لمن سمّى وضحّى وعيّدا

ليلى : رائع

الأب : وهو ـ على عادته ـ لا يقف عند المدح ، انما يسوق الحكمة ويمحص الراي ويدلي بالفكرة ... لذلك اسمعيه يسترسل في قصيدته قائلاً :

المتنبي :
وما قتلَ الاحرارَ كالعفوِ عنهمُ
ومن لكَ بالحرِّ الذي يحفظ اليدا
إذا انتَ اكرمتَ الكريمَ ملكتَه
وإن انتَ اكرمتَ اللئيمَ تمرّدا
ووضعُ الندى في موضعِ السيفِ بالعلى
مضرٌ كوضعِ السيفِ في موضعِ الندى

الأب : حتى يخلص الى القول في مدح نفسه قائلاً :

المتنبي :
وما انا إلا سمهريٌّ حملتَه
فزيّنَ معروضاً وراعٍ ، مسدّدا
وما الدهرُ إلا من رواةِ قصائدي
اذا قلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ منشدا

ليلى : رائع في مديحه وحكمته واعتداده

الأب : ارايتِ ؟ وديوانه عامر في هذه الابواب ... فعلى سبيل المثال قصيدته الأخرى في مدح سيف الدولة بمناسبة انتصاره على (الدمستق) وبنائه ثغر « الحدث » سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة ... قال :

المتنبي :
على قدرِ اهل العزمِ تأتي العزائمُ
وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ

وتعظمُ في عين الصغيرِ صغارهـــا
وتَصغرُ في عينِ العظيمِ العظائـــمُ
يكلفُ سيفُ الدولة الجيشَ همَّهُ
وقد عَجَزتْ عنه الجيوشُ الخضارم

الأب : الى ان يقول :

المتنبي :

وقفت وما في الموت شـــكٌّ لواقفٍ
كانك في جفـن الردى وهو نائـــمُ
تمر بـك الأبطـالُ كلمى هزيمـــةً
ووجهكَ وضـاحٌ وثغرك باســـمُ
تجاوزتَ مقدار الشـجاعة والنهـى
الى قول قوم انت بالغيب عالـــمُ

ليلى : ما هذا المديـح الفذ !!

الأب : لانه حصيد عبقرية شاعر فـذ ... وعلى اية حال فما هذا الا غيض من فيض ورذاذ من مطر ... ومديحه كله يدور في فلـك تطلعاته التي احدثك عنها

ليلى : وهل مدح غير سيف الدولة

الأب : بدون شك ... مدح الكثـير ... ومـن الاسماء التي مدحها وجوّد (ابو القاسـم طاهر بن الحسين العلوي ومحمد بن زريق الطرسوسي وابو شجاع عضد الدولة)... وغيرهم ... وغيرهم كثير ... وفي مقدمتهم كافور الاخشيدي

ليلى : كافور ؟ ... حاكم مصر

الأب : نعم فهو بعد ان هجر بلاط سيف الدولـة بسبب مشادة حصلت بينه وبين (ابـن خالويه) النحوي اعتدى فيها ابن خالويـه عليه واهانه في مجلس الملك ذهب سنة ست واربعين وثلاثمائة الى مصر بعد ان دعـاه كافور اليها وعاش في كنفه ...

ليلى : وماذا عن مديحه له

الأب : هو كثير ايضا ورائع بذات الوقت ...ومنه مثلاً قصيدته التي مطلعها :

المتنبي :

كفى بكَ داءً ان ترى الموتَ شـافيا
وحسـب المنايا ان يكنَّ امانيـا

الأب : والتي يقول فيها :

المتنبي :

خلقتَ ألوفا لو رَحَلتَ الى الصبا
لفارقتَ شيبي موجعَ القلبِ باكيـا
ولكن بالفسـطاط بحـراً أزرتَـهُ
حياتي وتصحى والهـوى والقوافيا

ليلى : هكـذا ؟!

الأب : نعم...وهو يقول له في قصيدة اخرى...

المتنبي :

الا ليتَ شعري هل أقولُ قصـيدةً
فلا اشـتكي فيهـا ولا اتعتـبُ
وبي ما يذودُ الشـعرَ عني اقلّهُ
ولكن قلبي يا ابنـةَ القـومِ قلّبُ
واخلاق كافورٍ . اذا شئتَ مَدحَهُ
وإنْ لم تشأ ، تملي عليَّ واكتـبُ
اذا ترك الانسـانَ اهـلاً وراءهُ
ويَمَّمَ كافـورا فمـا يتغـربُ
فتىً يملأ الافعال رأيـاً وحكمـة
ونـادرة ابان يرضـى ويغضـبُ

الأب : الى ان يقول ...

المتنبي:

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أنالُهُ
فاني اغنـي منذُ حـين وتشـربُ

ليلى : ــ ضاحكة ــ هنا بيت القصيد ... اعنـي هنا يكمنُ تطلعه وطموحه

الأب : فعلا ... وهو يفصح عن ذلك اكثر عندمـا يقول ...

المتنبي:

اذا لم تنط بي ضيعةً او ولايـةً
فجودُكَ يكسوني وشغلكَ يَسلبُ
يضاحك في ذا العيـدِ كلَّ حبيبَهُ
حذائي وابكي مَنْ احبَّ وانـدبُ
احن الى اهلي واهـوى لِقاءَهـمُ
وأينَ من المشـتاق عنقاء مُغـربُ
وكل امرىءٍ يولي الجميلَ محبـبٌ
وكل مكـان ينبـتُ العزَّ طيـبُ

ليلى : وهل اناط به ضيعة او ولاية ؟!

الأب : لا طبعاً ... ولذلك كف عن الغناء...وهجر مصر ... وهجا كافوراً

ليلى : هجـاه ؟!

الأب : واي هجاء . مثل ذلك قصيدته الذائعة الصيت التي يقول فيها ...

المتنبي:

العبدُ ليسَ لحرٍّ صالحٍ بأخٍ
لو انهُ في ثيابِ الحرِ مولودُ
لا تشترِ العبدَ إلا والعصا مَعَهُ
إنَ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ
ماكنتُ احسبني احيا الى زمنٍ
يسيءُ بي فيهِ عبدٌ وهو محمودُ

ليلى : وماذا عن اغراض شعره الاخرى يابت ؟

الأب : هو لم يترك غرضاً الا وطرقه ... ولكن ، كما قلت لك يبقى سيد الحكمة وفارس القول في التطلع والطموح

ليلى : وهل قال في الغزل ايضاً ؟

الأب : ـ ضاحكا ـ ومالكِ انتِ وللغزل ؟! ...

ليلى : مجرد حب استطلاع لا غير

ـ يضحكان ـ

الأب : طبعاً قال ... ولدارسيه اراء متقاربة في غزله تجمع على ان اكثر صوره ومعانيه في هذا المجال قد تواطأ عليها قدماء الغزليين ... وان اكثر ما قاله في الغزل صدّر به قصائده المدحية جرياً على الطريقة القديمة التي كانت متبعة لدى الشعراء ... ومن اقواله مثلاً

كفى بجسمي نحولاً انني رجل
لولا مخاطبتي اياك لم ترني

ليلى : هذا جميل

الأب : ولكنه معنى سبقه اليه الشعراء في راي نقاده ... فبشار بن برد يقول ...

في بردتي جسم فتى ناحل
لو هبت الريح به طاحا

وابن الرومي يقول ...

انا من رقّ وما استرق فما
يثقل ارضاً او يسدّ فضاء

ليلى : هكذا اذاً ؟

الأب : نعم . ولكن مع ذلك تبقى لأبي الطيب اوصافه الجميلة وسليقته العذبة . فهو يقول مثلاً ...

لبسن الوشي لا متجملاتٍ
ولكن كي يُصنَّ به الجمالا
وظفرن الغدائر لا لحسنٍ
ولكن خفنَ في الشعر الضلالا
بدت قمراً ومالت خوطِ بانٍ
وفاحت عنبراً ورنت غزالا

ليلى : هذا بديع

الأب : ارايت ؟!

ليلى : اقول يابت ...

الأب : نعم

ليلى : نعود الى موضوعنا الاساس ... طموح المتنبي وتطلعه

الأب : كما سبق ان اخبرتك يابنتي ... فذلك كان همه الاول وشاغله الذي لا شاغل يعدله عنده ... وهو ، رجل غزير الثقافة ضخم الموهبة متفرد في فكره وفي فنه فليس من المستغرب ان يتطلع ... وان يطمح الى المعالي

ليلى : هناك تساؤل يلح عليَّ في هذا المجال ... ترى ، لم وقف منه سيف الدولة الحمداني ومن بعده كافور الاخشيدي هذا الموقف بالرغم من اغداقهما عليه واهتمامهما به ... السيت ولاية يتولاها المتنبي هي في الواقع دون مجده ومكانته ؟!

الأب : في هذا المجال ترد ردود عدة ... منها مواقف الخصوم منه والوشاة ضده وحساده والذين ينفسون عليه مكانته ولهم كلمة لدى الامير او الحاكم . ومنها موقف الحاكم نفسه منه وخشيته من مغبة تفرده بالحكم واستئثاره بالسلطة وهو الرجل الذي لا يقف طموحه عند حد كما ينبيء عن ذلك شعره ... فلقد كان يطلب ويلحف بالطلب ... ولقد فسر موقفه هذا في غير صالحه ... انه يقول لسيف الدولة مثلاً ...

المتنبي:

أزلْ حسدَ الحسادِ عني بكبتهمْ
فأنتَ الذي صيرتَهمْ لي حُسّدا

اذا شدّ زندي حسنَ رأيكَ فيهمِ
ضربتُ بسيفٍ يقطعُ الهامَ مغمدا

الى ان يقول :

المتنبي:

أجزني اذا أنشدتُ شعراً فانما
بشعري أتاكَ المادحون مرددا
ودع كلَّ صوتٍ غيرَ صوتي فانني
أنا الصائحُ المحكيُّ والآخرُ الصدى

ليلى : هكذا اذاً ؟

الأب : نعم . وسبق لي ان اوضحت لك طلبه الصريح من كافور في هذا المجال

ليلى : نعم يا أبت ... لله دره ... متفرد في كل ما قال

الأب : ذلك متأتٍ ـ فيما احسب ـ من موسعية ثقافته وامتلاكه ناصية اللغة بجانب موهبته المتميزة

ليلى : هكذا يبدو

الأب : يحكى عنه انه اجتمع مع ابي علي الفارسي فقال له : كم جاء من الجمعِ على وزن فِعلى يا ابا الطيب ؟ .. قال المتنبي : حِجلى وظربى جمع حجل وظربان . ويقول الفارسي : لقد سهرت تلك الليلة التمس لهما ثالثاً فلم اجد !

ومن الادلة على شهرته باللغة قراءة ابن العميد كتاباً جمعه باللغة عليه ... ثم ، الحادثة التي سببت له هجره سيف‌الدولة عندما تجادل في مجلسه ابو الطيب اللغوي وابن خالويه في مسألة لغوية فانتصر المتنبي الى راي اللغوي وكان ذلك سبب نقمة ابن خالويه عليه فضربه بمفتاح من حديد في حضرة الامير ... كما رويت لك قبلاً

ليلى : نعم ... نعم

الأب : وحكمته الفذة المبثوثة في ثنايا شعره من ابرز الادلة على اصالة معرفته واتساعها وان كان لبعض النقاد فيها راي اخر

ليلى : كيف يا أبت ؟

الأب : بعضهم ينفي عنه الابتكار ويرجعها الى ارسطو ويضرب على ذلك الامثلة مقارناً بين اراء واقوال ارسطو وشعر المتنبي

ليلى : مثل ماذا يا أبت ؟

الأب : الامثلة في هذا الباب كثيرة ووافرة...منها على سبيل المثال ... قول ارسطو

صوت : « عِللَ الافهام اشد من علل الأجسام »

وقول المتنبي ...

المتنبي: يهون علينا ان تصاب جسومنا
وتسلم اعراض لنا وعقول

وقول ارسطو ...

صوت: العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمه بزوالها ، والجاهل يظن انها خالدة له وهو باق عليها ، فهذا يشقى بعقله وهذا ينعم بجهله

وقال المتنبي ...

المتنبي: ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقال ارسطو ...

صوت: النفس الذليلة لا تجد الم الهوان ، والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام

المتنبي: مَنْ يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

الى اخر ما هناك من مقارنات ... على ان الذي لا شك فيه هو ان المتنبي تثقف بالفكر اليوناني ونهل من معانيه بعض المعاني فانبثت في تضاعيف شعره وجاءت شاهدة على ثقافته العميقة الجذور ... اليس هو القائل في قصيدة مدح بها ابن العميد :

المتنبي: مَنْ مبلغ الأعراب اني بعدها
جالست رسطاليس والاسكندرا

وقوله في القصيدة التي عزّى بها عضد الدولة بعمته :

المتنبي: يموتُ راعي الضأن في جهله
موتةَ جالينوس في طبه

فهلا تدل هذه ، وامثالها كثير ، على سعة افقة وطول باعه واطلاعه

ليلى : بدون شك يا أبت ... اردت ان اقول ...

الأب : نعم

ليلى : ترى ماذا عنه بعد ان هجر كافوراً وعاد من مصر ؟

الأب : قيل ان صاحبه (ابن يوسف) قال له وهما في طريق العودة من مصر

/انتقالة/

- ٨ -

المتنبي - ابن يوسف

ابن يوسف : وما رايك في الجولة القادمة يا ابا الطيب ... لقد هجرت سيف الدولة وهجوته ... وها انت تهجر كافوراً وستهجوه ... اقول ... ترى الى اين سيحل بك المطاف ؟

المتنبي: لم يبق امامي ياابن يوسف بعد ان يئست من الملوك وبعد ان سدوا ابوابهم دوني الاامران لا ثالث لهما : اما ان انزل من القمة التي صعدت اليها بعد جهد وكد واعود الى ما كنت عليه في بداية امري فاستجدي بشعري صغار الناس وطغامهم ، واما ان اعود الى الكوفة فاقبع في داري واهجر الناس جملة واقيم بيني وبين الملوك سداً . فقد كفاني مالقيت منهم وكفاهم مالقوا مني ولي الآن ثروة تكفل الراحة والنعيم وهناء العيش

/ انتقالة /

- ٩ -

- عودة الى حوار الاب وابنته ليلى -

ليلى : وهل مدح صغار الناس ام قبع في بيته ؟

الأب : لا هذا ولا ذاك ، انه الهمة العالية والطموح الوثاب والحركة الدائبة . فكيف يرضى لنفسه ذلك وهو القائل :

المتنبي: فمالي وللدنيا طلابي نجومها
ومسعاي منها في شروق الأراقم

والقائل

المتنبي: لتعلم مصر ومن بالعراق
ومن بالعواصم اني الفتى
واني وفيت وفي ابيت
واني عتوت على من عتا
وما كل من قال قولا وفى
ولا كل من سيم خسفا ابى

وهو الذي فخر مرة في حضرة سيف الدولة قائلاً ...

المتنبي:
سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قدم
انا الذي نظر الأعمى الى ادبي
واسمعت كلماتي من به صمم

والذي يقول ...

المتنبي: تمرست بالآفات حتى تركتها
تقول اماتَ الموت ام ذعر الذعر

ولذلك كان موقفه من صاحبه (ابي نصر محمد الجبلي) يوم نزل عنده في طريق عودته الى الكوفة

ليلى : اي موقف تعني ياابت ؟

الأب : تروي سيرة المتنبي ان ابا نصر - وهو صديقه - قال له ...

/انتقالة/

- ١٠ -

(المتنبي - ابو نصر)

ابو نصر: على اي شيء انت مجمع ياابا الطيب ؟

المتنبي: لقد عزمت على الرحيل مساء هذا اليوم . وساتخذ الليل مركباً فان السير فيه يخف علىّ

ابو نصر: الراي رايك . ولكني ارى ان يكون معك جماعة من رجال هذه البلدة الذين يعرفون المواضع المخيفة

المتنبي: ولم تقول هذا يا ابا نصر ؟

ابو نصر: انما اردت ان تستانس بهذه الجماعة في الطريق

المتنبي: اما ونجاد السيف في عنقي فما بي حاجة الى مؤنس غيره ... عرفني جلية الأمر

ابو نصر : جلية الأمر يا سيدي هو ان فاتكاً الأسدي كان عندي منذ ثلاثة ايام ، وهو يتقد عليك غضباً لانك هجوت ابن اخته (ضبّة) وعرّضت بشرفه

المتنبي : اتخاف عليّ من عبيد العصا ؟

ابو نصر : هم اشرار فتاك يا سيدي

المتنبي: يترنم ...
فزل يا بعد عن ايدي ركابٍ
لها وقعُ الأسنةِ في حشاكا
واني شئتِ يا طرقي فكوني
اذاة او نجاة او هلاكا

ابو نصر: وهو الهلاك بعينه ياسيدي إنْ لم تحترز

المتنبي: لا عليك يا ابا نصر ... (يترنم)

تعدُ المشـــرفية والعوالـــي
وتقتلنا المنـــون بلا قتـــال

استودعك الله

ابو نصر: سلمك الله يا ابا الطيب .

/انتقالة/

ـ ١١ ـ

ـ مسمع الختم ـ

الراوية :

... وعندما كان المتنبي وصحبه يسيرون في طريقهم الى الكوفة تصدى له (فاتـك) ورجاله فقاتلهم قتال الابطال . ولقد قتـل جميع من معه . وبقي وحيداً يقاتل حتى نال منه الضعف واخذ منه الوهن ، فحمل عليه (فاتك) وطعنه في جنبـــه الأيســر فاسقطه من على جواده وارتمى على الارض يجود بأنفاسه بين جثتي ابنه (مُحَسّد) وخادمه (مفلح) وهو يرود بحشرجة القتيل أبي النفس ...

المتنبي:

رِدِي حياض الردى يانفس واتْركي
حياضَ خوف الردى للشـــاءِ والنعمِ
إنْ لم اذركِ على الأرمـــاحِ سائلة
فلا دعيتُ ابن أم المجـدِ والكـــرمِ

ـ النهايـة ـ

المراجـع

١ ـ ديوان المتنبي
شرح : عبدالرحمن البرقوقي

٢ ـ يتيمة الدهر
ابو منصور الثعالبي

٣ ـ المثل السـائر
ابن الأثـير

٤ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده
ابن رشيق القيرواني

٥ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه
عبد العزيز الجرجاني

٦ ـ المتنبي بين ناقديه
د . محمد عبدالرحمن شعيب

٧ ـ مع المتنبي
د . طـه حسـين

٨ ـ ذكرى ابي الطيب بعـد الف عـام
د . عبدالوهاب عزام

٩ ـ الرؤوس
مارون عبود

١٠ـ ابو الطيب المتنبي
جوزيف الهاشم

١١ـ المتنبي يسترد اباه
عبدالغني الملاح

١٢ـ مع الاعـلام
جميل الجبوري